قلت : « لقد انتهى الأمر . سرقت مظلته وأعطيتك إياها ، وعرف ما كان ، وغضب وشال نفسه وحطها ، ولم يبق هناك شيء آخر يمكنه أن يصنعه ، فلا تكترثي له ولا تفكري فيه »

قالت بعطف : « مسكين ! »

قلت : « لقد كنتُ أنا المسكين ، وكانت هذه المظلة تفقأ عيني كلما رأيتها ، فالآن أمنت ، وفي وسعي أن ألقاه وأنا مطمئن ، من غير أن يؤذي بصري منظر المظلة »

قالت وهي تضحك : « على كل حال لابد من ردها اليه ولك وله الشكر »

فكتبت لها الاسم والعنوان ، ولم يفتني أن أحذرها من مقابلته ، ولم يبق بعد ذلك ما يقال ، فهممت بتوديعها وإذا برجل هِمّ هرم يدنو مني وينظر الى الزهرة التي على صدري ثم يقول وهو يفرك كفيه :

« هل سمعتك تقول لا مطر غداً ! »

فحدقت فيه متردداً ، ثم رفعت يدي الى الزهرة فأخرجتها من العروة ورميتها على الأرض ، فلم ينهزم وقال :

« لم ولماذا وكيف يكون ذلك ؟ »

فكاد عقلي يطير ، فتناولت ذراعيْ الفتاتين وأوليت الرجل ظهري ومضيت بهما عنه ، وهما ذاهلتان تنظران اليّ ولا تفهمان ، غير أن هذا لم يمنع الرجل أن يمشي ورائي وهو يصيح :

« لم ولماذا وكيف يكون ذلك ؟ »

فقلت لفتاتيّ : « لم يبق إلا أن نجري ، فهل تقدران على ذلك ؟ »

وجرينا مسافة ونحن نضحك ، فلما أمنا أن يدركنا وقفنا وقصصت عليهما الخبر ،

فسألتني فتاة المظلة :

« ولكن ماذا يريد منك ؟ »

قلت : « لا أعرف ، ولا أحب أن أعرف . . »

قالت : « ألا يحسن أن تتبين ؟ »

قلت : « أتبين ؟ أليس حسبي ما منيت به من خيبة الأمل . ومع ذلك لقد عوضني الله خيراً . . . هيا بنا لنستريح . . . »

ابراهيم عبد القادر المازني

بين فن التاريخ وفن الحرب

١٠ ـ خالد بن الوليـــد*

في حروب الردة

للفريق طـــه باشا الهـاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

خطة خالد

لا شك في أن خالداً كان يقدر حرج الموقف في قتاله أهل اليمامة . وكان يعلم أنه مقدم على أمر يتوقف عليه نجاح الاسلام أو خيبته . فالبلاد وعرة ، والقرى فيها منيعة ، والناس ملتفون حول داعيهم ، معتصمون بحبهم ، وعددهم كثير ، وسلاحهم يضرب به المثل

لذلك لم يقدم على الحركة قبل أن تصله النجدة الموفدة من المدينة . وأراد أن يمهد سبيل الظفر بالتدابير السياسية وذلك :

أولاً — باستمالة التميميين في اليمامة الى جانبه

ثانياً — بتفريق رؤساء سجاح عن مسيلمة

ثالثاً — باستخدام المسلمين من بني حنيفة للمشاغبة على مسيلمة

والأخبار تدل على أنه أرسل الكتب الى التميميين ليتركوا جانب مسيلمة فوفق الى ذلك ، كما أنه ساق قوة خيالة لمقاتلة رؤساء سجاح الثلاثة وهم عقة وهذيل وزياد ، ففرق رجالهم واضطرهم الى العودة الى حي بني تغلب في الشمال . وأن المسلمين من بني حنيفة ثاروا على مسيلمة وشاغبوا عليه ، ولعل عكرمة بن أبي جهل أراد أن يستفيد من المشاغبين فقاتل رجال مسيلمة فلم ينتصر ، وكانت الأخبار تأتي خالداً وتنبئه بما في اليمامة

(*) وهو بحث فني قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل « الرسالة »

أما خطته العسكرية فكانت ترمى الى الزحف الى اليمامة على أقصر طريق ، والهجوم على جيش مسيلمة أينما لقيه

عاد خالد من المدينة الى البطاح فى أوائل السنة الثانية عشرة الهجرية ، وكان الجيش مجتمعاً فيها ينتظر أمر الحركة . وقضى خالد مدة قصيرة فى البطاح يترقب ورود المدد من المدينة ، فكانت القبائل تمد جيشه برجالها ، فالتحق به رجال من بني أسد وتميم وبنى عامر ، وكانت الأخبار ترد اليه من اليمامة منبئة بأحوالها . وآخر من وصل اليه ابن عمير اليشكرى فأطلع خالداً على جلية الأمر فى اليمامة

ساحة القتال

اختار مسيلمة موقع عقرباء لجيشه ، وهذا الموقع على الحدود الفاصلة بين اليمامة وبلاد بنى تميم ، وهو مفتاح لموضع من أخطر المواضع السوقية بين مقاطعـــة العارض ومرتفعات المحمل وجبل طويق

وبالقرب من هـذا الموقع تقوم قرية جبيلة الحديثة ، وقد بحث فيه (فلبي) فى كتابه الآنف الذكر قال : « وإذا تأملت الوادى (أى وادى حنيفة) عنـد جبيلة — وجبيلة هذه أحد منازل بني حنيفة من قديم الزمن ، وإليهم نسب الوادى وفى سمائه ارتفع لواء صيتهم فسمى بوادى حنيفة — لألفيته وهدة من الأرض قريبة القرار ، واسـعة الجوانب ، تكتنفها الهابط المطمئنة الجرداء من كل حدب وصوب ، وللوادى عقيق يضيق شيئاً فشيئاً حتى تراه قد غاض فى بطن مجرى نشزت على ضفافه الطنوف الشواخص على النحو المتقدم وصفه . فالقرية إذن مفتاح لموضع من أخطر المواضع السوقية وأعظمها شأناً ، واقعة بين مساكن العارض ومرتفعات المحمل وطويق . وقيل فى هذا المكان وقعت معركة فاصلة من معارك التاريخ الاسلامى ، دارت فيها رحى القتال بين أصحاب النبي وبعض المؤمنين من رجاله ، وبين مسيلمة نبي حريملة الكذاب وقواته ، وكان النصر فيها حليف المسلمين بعد أن خسروا آنئذ فى سبيل دينهم القويم نحو سبعين من نخبـة الصحابة ، وهم الرجال المخلص الذين اصطفاهم النبي فأودع فى صدورهم تعاليمه الشفوية ..» إلى أن قال : « لا تزال قبور الصحابة الذين استشهدوا فى تلك المعركة ظاهرة الى يومنا هذا ، مهجورة فى منبطح من غربى نهر عميق صفا ماؤه واقع على مقربة من القرية . وقد رأيت القبور أيام زيارتى لها ومرورى بها وقد بليت وتحاتت بتأثير الزوابع وفعل الأعاصير ، وقد نجم عن ذلك أن تفتحت جوانب الكثير منها ، فظهرت فيها ثغر فاغرة أفواهها نحو الوادى . ولم يزد ارتفاع الرسوب الغربى على ثلاث أو أربع أقدام فوق القبور . فلنا إذن من ذلك أحد الأمرين : إما أن تكون دفائن تلك القبور أحدث مما يزعمون ، وإما أن الغرين قد رسب من قبل فى المكان الموجود الآن فيه وبات مستواه على ما هو عليه بطبيعة الحال قبـل معركة جبيلة . ولا غرو فى أن الأمر الثانى هو الافتراض المحتمل وقوعه »

وصف الموضع :

خريطة تبين وصف الأرض فى جوار عقرباء

يظهر من مطالعة الخريطة أن المحل الذى اختاره مسيلمة لقبول المعركة واقع فى جنوبى العقدة التى تتشعب منهـا الجبال وتمتد فى جهات مختلفة وتشرف على رؤوس الوديان المتدفقة من أرجائها والتى منها ما يجرى نحو الشمال ويغـذى وادى الخفس ، ومنها ما يجرى نحو الشرق ويغذى وادى حنيفة ، ومنها ما يجرى نحو الغرب ويغذى بطين الحور . وقد اجتمعت قريتا عينة وسدوس وجبيلة حول هذه العقدة . وتعلو فى وسطها رابيتا الأبكين : الرابية الغربية والرابية الشرقية ، والغربية أعلى من الشرقية إذ يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر (٣٢٠٠) قدم ، وعن وادى حنيفة الذى يجرى فى جنوبيها (٢٠٠) قدم . وفى شرق الأبكين جبل رامة يمتد من الغرب الى الشرق ، وهذا الجبل مع جبل الأبكين يفصلان بين شعيب سـدوس ووادى حنيفة . فالشعيب فى الشمال ينبع من غربى سدوس ويجرى نحو الشرق فيترك على ضفافه سدوس وحزوة ، ويلتقى بشعاب كثيرة أخرى

تصب جميعاً فى وادى الخفس . والوادى الثانى يجرى فى الجنوب والى شرق جبيلة يرتفع جبل صلبوخ . فكأن الجبال الثلاثة — الأبكين ورامة وصلبوخا — متصل بعضها ببعض ومحيطة بموضع جبيلة كالقوس

ويصف المستر فلبى المنظر قرب الأبكين فيقول : « وقفنا نتأمل بطحاء طويق الفسيحة الأرجاء ، فألفينا مشهدها رائعاً مهيباً ، وتتخللها الهضاب المتموجة والأودية السحيقة . وإنا لكذلك إذ لاحت منى التفاتة الى الشمال فشاهدت على مسافة ميلين من بسطة أرضاً انطوى تحتها واد فسيح تحدرت جوانبه وانقطعت مجامعه عند حوض الخفس الواقعة فيه واحة سدوس — تلك الواحة الفضة الرائعة المشهورة بجمالها الفتان — كنا نراها ونرى فيها كل صغيرة وكبيرة ، ونحن واقفون فى مكاننا كأنها أمامنا وعلى مقربة منا ، ولكنها ويالأسف لم تكن على استقامتنا ، فشق علىّ زيارتها لبعد طريقنا عنها . وقد شاهدت بساتين النخيل ممتدة على طوار الينبوع الدافق مسافة ميل تقريباً فى عرض قدرت معدله بين ٢٠٠ و٣٠٠ ياردة » الى أن يقول : « ورأيت على مدى البصر الى الجهة الشمالية الشرقية نجف مرتفعات العرمة ، وقد بدت بلون أدكن ، ونظرت الى الشمال الغربى وادى حريملة ، وهو فرع آخر من فروع حوض الخفس ، وقد انفصل عن فرع سدوس بجرف متسع المتون مرتفعها ، ورأيت فى الجهة الجنوبية الغربية صدع جرف طويق فبدت من موضعه عقبة الحيسية [1] . والى الجنوب وراء خط وادى الحيسية ، وجرف الملاق تحتد ظهور طويق العريضة فى الفضاء الأغبس الفسيح »

وعند ما يبحث فى ثنية اليمامة يقول : « وبعد مسير سبعة أميال (على موازاة الابكين) وصلنا الى عقبة الحيسية المعتبرة منبع وادى حنيفة ، فوجدنا أشجار السنط منتشرة حولها ، وكان ارتفاعنا عن مستوى سطح البحر فى هذه البقعة نحو ٣٢٠٠ قدم ، وكانت المسافة بيننا وبين البطين (بطين الحور) نحو ٤٦ ميلاً . وقد استطعت أن أشاهد من هذا المكان وادى حنيفة بأسره آخذاً الى الجنوب حتى اليمامة ، وهذا بون شاسع يربو طوله على ١٠٠ ميل ، وتأخذ فيه الأرض فى الانخفاض تدريجاً إلى أن يبلغ ١٩٠٠ قدم . ولم أجد عند الصبّب من المناظر الطبيعية ما يحملنى منها على الأطناب فى الوصف ، وشاهدنا هناك الأرض أمامنا وقد انحدرت بهيئة مثلث فسيح الأرجاء ، ضلعاه لهبان منفرجان من جرف طويق ومنته طرفاها بأنفين بارزين أحدهما خشم خرشة فى الجنوب ، والآخر خشم الحيسية فى الشمال ، وتمتد بين هذين الأنفين قاعدة المثلث بشكل جناح ناتئ من الحجارة الرملية الجرداء الغراء يسمونه المرقى فى جانبه الأبعد يهبط شديد الانحدار ينتهى الى وادى البطن . أما صدر شعيب هشة فهو فى منبعه يتغلغل صعباً بين جدران منهره متعمجاً فى عقيق ضيق ، ثم يأخذ بعد حين فى الاتساع على متون المنحدرات حتى إذا بلغ الحاشية الغربية من جناح المرقى ينفرج فى بطن المحلة الخصبة ثم ينثنى فيجد له مسيلا فى خلال الحواجز الصخرية فيتسرب منها الى وادى البطين

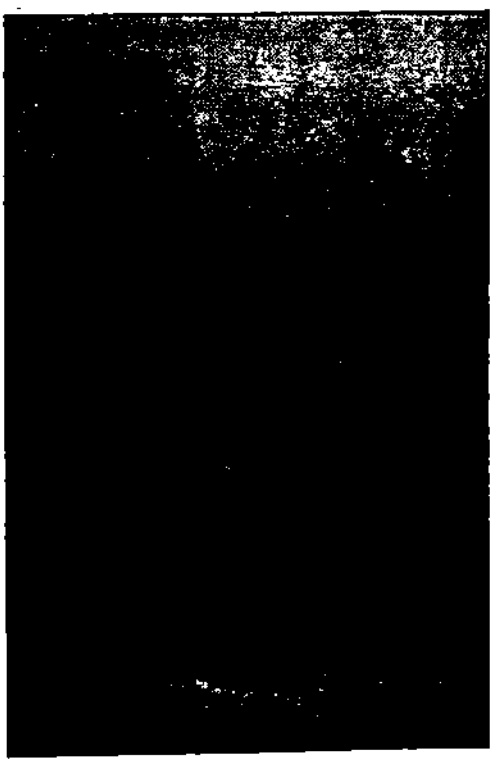

منظر من مناظر وديان اليمامة ويرى فيه كيف تتصرف المياه إلى الوديان

وعلى نحو أربعة أميال من منبع وادى حنيفة نجد مابقى من آثار ديار الهشة ، وهى لا تتعدى بعض بساتين النخيل المتفرقة وثلاث آبار دائمة المياه ، اثنتان منها مطويتان بالحجارة عزيزتا

(١) يعنى ثنية اليمامة

الماء دائمة الورد ، يبلغ عمق كل بئر منها نحو قامتين ، ويظهر لون الماء عند استقائه من البئر أطحل بتأثير الطيقة المتحجرة المستبطنة قرار البئر ، وإذا ترك الماء وشأنه قليلا ركد فيه الطين فصفا وراق . وطعمه لذيذ عذب جداً . وينفرد آل قحطان بالاستفادة من هذه البئر » الى أن يقول : « وليس فى عقبة الحيسية صخور حرشاء تقف عثرة فى سبيل الابل . وربما كانت أسهل عقبات طويق مسلكا ، لذا فضلت على غيرها باتخاذها طريقاً للحج ، وهو الطريق الذى سلكناه لما غادرنا الرياض من حيث ينحدر هذا الطريق الى الضرمة »

الحركة من البطاح الى اليمامة

وبعد أن اجتمعت قوات المسلمين فى البطاح واطلع خالد على موقف الحنفيين قرر التقدم نحو مسيلمة . وكان قبل ذلك قد رتب جيشه ، فكانت نواته على ما نعلم الأنصار والمهاجرين والقبائل الضاربة بين المدينة ومكة . فقسم الجيش الى فرق : فرقة من الأنصار ، وفرقة من المهاجرين ، وألفت كل قبيلة فرقة . وناط بأبى حذيفة وزيد ابن الخطاب قيادة المهاجرين ، وبثابت بن قيس وبر بن مالك قيادة الأنصار . أما القبائل فكانت بقيادة رؤسائها

ويروى أبو بشر الدولابى فى كتاب التاريخ أن معركة عقرباء وقعت فى شهر ربيع الأول للسنة الثانية عشرة الهجرية ، وأول هذا الشهر يقابل أوائل شهر أيار ٦٣٣ ميلادية . وتبلغ المسافة بين البطاح وعقرباء زهاء ٣٥٠ كيلومتراً ، أى مسير عشرة أيام بجيش كبير على أقل تقدير . فيظهر من ذلك أن خالداً ترك البطاح فى نهاية شهر نيسان أو فى أوائل شهر أيار

فكانت خطة خالد ترمى الى الزحف تواً إلى اليمامة ، على أن يهجم على جيش مسيلمة أينما لقيه . وكان يعلم أن مسيلمة متأهب للمقابلة على حدود بلاده . لذلك قدّم أمامه مقدمة من بنى طيء بقيادة عدى بن حاتم ، وعين لها فرات بن حيان دليلاً ، وسلك طريق الوشم نحو الشقرة . وأرسل الى الأمام مكنف بن زيد الخيل وأخاه ليتجسسا الأخبار

ولم يشأ أن يترك خط الانسحاب معرضاً للخطر ، لذلك أقام سليطاً مع قوة فى البطاح ليكون ردءاً له من القبائل . وتزعم الرواية أن أبا بكر أمد خالداً بسليط ليكون ردءاً له لئلا يأتيه أحد من ظهره . أما مسيلمة فلما علم بمسير خالد نحوه تقدم بجيشه من اليمامة نحو الشمال وعسكر فى عقرباء بجميع قواته منتظراً ورود جيش المسلمين متأهباً للمقاومة الشديدة . وكانت أخبار انتصار المسلمين على أهل الردة قد سبقت جيش المسلمين فألقت الرعب فى قلوب الحنفيين

وتقدم جيش المسلمين على الطريق المذكور وكانت المقدمة تسبقه وتستطلع الأحوال

يتبع

طه الهاشمى

اكتتبوا فى أسهم

شركة مصر للغزل والنسج

تنالوا

ربحاً وفيراً — وأجراً كبيراً

فى رفعة الوطن ومجده

الاكتتاب ببنك مصر وفروعه

لغاية آخر ديسمبر سنة ١٩٣٤